

حماية النبي ﷺ للتوحيد وسدّه الطرق الموصلة للشرك

تمهيد

وصف الله رسوله ﷺ بالحرص على أمته، ورحمته بهم، وشفقته عليهم أن يلحق بهم العنت والمشقة فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

ومن ذلك أنه ﷺ أندر أمته وحذرهم من الشرك الذي هو أعظم الذنوب الموجبة للنار والعذاب الأليم، ونهاهم عن جميع الأسباب الموصلة إليه كما سنذكر أمثلة من ذلك في هذا الدرس إن شاء الله تعالى.

نهي ﷺ عن اتخاذ قبره عيداً

نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره عيداً؛ لئلا يكون ذلك ذريعة ووسيلة لعبادته من دون الله تعالى، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» (٢).

وقد دل الحديث على مسائل منها:

- أ. تحريم اتخاذ قبر النبي ﷺ عيداً، بأن يعتاد المجيء إليه على وجه مخصوص، واجتماع معهود، كما هو حال الأعياد، ومن ذلك: أن يتخذ قبره عيداً للصلاة والدعاء وغير ذلك من وسائل الشرك، كما اتخذ المشركون أعياداً زمانية ومكانية.
- ب. إذا كان هذا حراماً في قبر النبي ﷺ فمن باب أولى أن يكون حراماً في جميع القبور؛ لأن قبره ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذ عيداً، فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان.

(١) سورة التوبة آية ١٢٨، ومعنى قوله تعالى: (مَا عَنِتُّمْ) أي: شديد عليه جداً ما يُعْنِتُ أمته، ويؤدي إلى إلحاق الأذى والمشقة والضرر بها.
 (٢) أخرجه أحمد برقم (٨٨٠٤)، وأبو داود برقم (٢٠٤٢)، وهذا لفظه.

ج تحريم قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها؛ لأن ذلك نوع من اتخاذها عيداً.

د تحريم شد الرحل إلى قبره ﷺ أو غيره من القبور والمشاهد؛ لأن ذلك من اتخاذها أعياداً، وهو من أسباب الإشراك بها.

ه قوله ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»، أي: لا تعطّلوها من الصلاة فيها والدعاء وقراءة القرآن، فتكون بمنزلة القبور، وفي هذا إشارة إلى أن القبور ليست موضعاً للصلاة والدعاء والعبادة، وأن النهي عن ذلك أمر متقرر عند الصحابة رضي الله عنهم، ولذلك نهاهم أن يجعلوا بيوتهم كذلك، وأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهاهم عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله الغلاة.

و قوله ﷺ: «وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»، يعني: أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبوري وبعدي عنه، فلا حاجة لكم إلى اتخاذها عيداً تترددون إليه لأجل ذلك.

دعاؤه ﷺ أن لا يجعل الله قبره وثناً

دعا النبي ﷺ ربه جل وعلا أن لا يتخذ قبره وثناً يعبد من دون الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثْنًا، لَعَنَ اللَّهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(١).

نهيته ﷺ عن السجود له

نهى النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم عن السجود له، حتى لا يقعوا في تعظيمه المؤدّي لعبادته من دون الله تعالى، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه لما رجع من اليمن، قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتُ رَجُلًا بِالْيَمَنِ^(٢) يَسْجُدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، أَفَلَا نَسْجُدُ لَكَ؟ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ أَمْرًا بَشَرًا يَسْجُدُ لِبَشَرٍ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِرَوْحِهَا»^(٣). وهذا يدل على النهي عن السجود لغير الله تعالى.



نهي عن إطرائه

نهى النبي ﷺ المسلمين عن إطرائه، وهو: المبالغة في مدحه والثناء عليه، وذلك لئلا يبلغ بهم ذلك إلى عبادته من دون الله تعالى، فعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه سمع عمر رضى الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: «لَا تُطَرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» (١).

مجاوزه الحد في المدح والكذب فيه

والمدائح النبوية ثلاثة أنواع:

الأول: مدائح مشروعة، وهي التي ليس فيها غلو؛ مثل مدائح الصحابة رضى الله عنهم كحسان بن ثابت وكعب بن مالك رضى الله عنهما، ورسول الله ﷺ أولى البشر بالمدح.

الثاني: مدائح محرمة، وهي التي فيها غلو لا يصل إلى الشرك.

الثالث: مدائح شركية، وهي التي فيها غلو يصل إلى درجة الشرك بالله تعالى، كالتى فيها استغاثة بالنبي ﷺ.

نشاط ١

بالرجوع إلى مصادر التعلم أختار ثلاثة أبيات شعرية لحسان بن ثابت رضى الله عنه يمدح فيها رسول الله ﷺ، وثلاثة أبيات لكعب بن مالك رضى الله عنه يمدح فيها رسول الله ﷺ.

أبيات شعرية لحسان بن ثابت رضى الله عنه
لما رأيت أتواره سطعت * وضعت من خيفتي كفي على بصري
خوقاً على بصري من حسن صورته * فلست أنظره إلا على قدرى
روح من النور في جسم من القمر * كحلية نسجت من الأنجم الزهر
شعر كعب بن مالك رضى الله عنه
وفينا يا رسول الله والأوس حوله * له معقل منهم عزيز وناصر
وجمع بني النجار تحت لوائه * يمشون في الماذي والنقع ثائر
فلما لقيناهم وكل مجاهد * لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بان الله لا رب غيره * وان رسول الله بالحق ظاهر

أكثرنا
خيرًا

نهيه ﷺ أن يرفعوه فوق منزلته التي أنزله الله تعالى

كان النبي ﷺ ينهى عن رفعه فوق منزلته التي أنزله الله فيها، وهي منزلة الرسالة والعبودية لله، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال: يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا تَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيَاطِينُ، أَنَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولُ اللَّهِ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيهَا اللَّهُ»^(١)

نهى النبي عن السجود له وهذا يدل على النهي عن السجود لغير الله
 نهى النبي عن إطرائه وهو المبالغة في مدحه والثناء عليه

نشاط ٢

من خلال الدرس: أكتب ردًا في نقاط محدّدة على الذين يغلون في رسول الله ﷺ فيدعونه ويستغيثون به من دون الله تعالى ويقولون نحن نحبه.

التقويم؟

- ١ س كيف حمى النبي ﷺ التوحيد؟ مع الدليل.
- ٢ س أذكر ثلاث فوائد من قول النبي ﷺ: «لا تجعلوا قبوري عيداً».
- ٣ س المدائح النبوية ثلاثة أنواع؛ فما هي؟ وما حكم كل نوع؟
- ٤ س «السيد الله»: من قائل هذه العبارة؟ وما المناسبة؟ وماذا نستفيد منها؟



- ج1: نهى عن اتخاذ قبره عيداً - نهى عن السجود له - نهى عن إطرائه والمبالغة بذلك - نهيه في أن يرفعوه فوق منزلته التي أنزله الله بها
- ج2: نهى النبي صلى الله عليه وسلم اتخاذ قبره عيداً لئلا يكون ذلك ذريعة ووسيلة لعبادته - تحريم القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها - تحريم شد الرجل إلى قبره أو غيره من القبور والمشاهد
- ج3: الأول: مدائح مشروعة؛ وهي التي ليس فيها غلو
الثاني: مدائح محرمة؛ وهي التي فيها غلو لا يصل إلى الشرك
الثالث: مدائح شركية؛ وهي التي فيها غلو يصل إلى الشرك بالله تعالى
- ج4: القائل: رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ المناسبة: قول وقد بنى عامر للنبي أنت سيدنا، نستفيد من ذلك: حماية النبي عليه السلام جانب التوحيد وسد الطرق المفضية للشرك

